أثر البعد الثقافي الخارجي على الهوية الوطنية (دراسة في التداعيات و المرتكزات)

The Impact of The External Cultural Dimension On The National Identity (A Study of Challenges and Foundations

نميري عزالدين [1]

مخبر الدراسات القانونية والبيئية جامعة 08ماي1945 قالمة

حورية قصعة[2]

مخبر الدراسات القانونية والبيئية جامعة 08ماي1945 قالمة

تاريخ الإرسال: 2020/04/05 تاريخ القبول: 2020/05/07 تاريخ النشر: 2020/06/30

****

ملخص:

لقد شهدت نهاية الحرب الباردة بروز المقاربة البنائية على مستوى دراسات السياسة الدولية بفعل التحولات والمتغيرات الحاصلة على الساحة العالمية، وقد كان للتقدم التكنولوجي المذهل والرهيب في وسائل الاتصالات- بفعل تداعيات العولمة التي أسست لتصورات جديدة في كيفية بناء الفرد والمجتمعات- دور في بروز البعد الثقافي كمتغير فاعل ومهم في رسم السياسة على مستوى العلاقات الدولية.

هذه التداعيات أصبحت تطرح تحديات للكثير من الدول والمجتمعات للحفاظ على ثقافتها المحلية والوطنية بالارتكاز على محددات تضمن لها الاستمرار والبقاء والتفاعل الايجابي مع كل ما هو جديد، وتفادي كل أنواع وأشكال الذوبان في إطار الثقافة الخارجية التي تؤسس لعولمة ثقافية موحدة للقيم والمبادئ على المستوى العالمي.

الكلمات المفتاحية: الهوية، العولمة، القيم، الأمن الهوياتي، الغزو الثقافي.

Abstract:

The end of the Cold War witnessed the emergence of a constructive approach at the level of international policy studies due to global transformations, and the amazing technological progress - due to the implications of globalization that established new perceptions of how the individual and societies are built - has a role in the emergence of the cultural dimension as an active and important variable in shaping international politics.

These repercussions have become challenges for countries and societies to preserve their local and national culture based on determinants that ensure them to stay and positive interaction with all that is new, and to avoid melting into a foreign culture that establishes a unified culture globalization of values and principles.

Keywords: identity, globalization, values, identity security, cultural conquest.

[1] نميري عزالدين مخبر الدراسات القانونية والبيئية جامعة 08ماي1945 قالمة azzeddinenemiri@gmail.com

[2] حورية قصعة مخبر الدراسات القانونية والبيئية جامعة 08ماي1945 قالمةgassaa.houria@univ-guelma.dz

مقدمة:

لقد استخدم النظام الدولي الجديد وسائل وتقنيات أكثر فعالية من استخدامه للوسائل التقليدية التي كانت تعتمد بالأساس على القوة العسكرية لبسط الهيمنة والنفوذ، وحتى المفاهيم والدراسات تحولت من الاهتمام بالقوة الصلبة إلى القوة اللينة في دراسة وتفسير طبيعة العلاقات الدولية.

وقد كان للتطور السريع و المذهل في وسائل الاتصال والإعلام وبروز ظاهرة العولمة التي تعمل على جعل العالم يسير في فلك واحد بنفيها للآخر وبإلغائها وهدمها للحدود السياسية، من خلال هندسة تصورات وقيم موحدة في كيفية بناء الفرد والمجتمعات والتي تكرس مبدأ ذوبان وتلاشي الهويات المستقلة ليصبح عالم واحد وتذويب كل الخصوصيات الثقافية المحلية بما تحمله من قيم اجتماعية ودينية وأخلاقية وجعلها تسير في مسار الثقافة العالمية.

وهذا ما يجعل الكثير من الدول والمجتمعات التي لا تملك هذه الوسائل والمقومات والتقنيات تسعى لإيجاد آليات وميكانيزمات ترتكز عليها للحد من هذا التأثير الخارجي الذي قد يفقدها مكوناتها الثقافية وهويتها وتصبح عرضة لكل أشكال الاستلاب من طرف القوى المهيمنة.

وبالرغم من ايجابيات هذا التطور التكنولوجي والتقدم في وسائل الاتصالات، إلا أننا سنركز في هذه الورقة البحثية على التوظيف السلبي والمصلحي لهذه التقنيات والوسائل لخدمة القوى الكبرى في طمس الهويات الثقافية المحلية و إحلال محلها الثقافة الخارجية.

على ضوء هذا سنسعى لطرح الإشكالية التالية: ما هي تداعيات تأثير البعد الثقافي الخارجي على الهوية الوطنية في ظل البحث عن مرتكزات للحد من هذا التأثر؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية:

1- ما المقصود بالهوية الوطنية؟ و فيما تكمن مخرجات العولمة الثقافية؟

2- ما هي تداعيات العامل الثقافي الخارجي على القيم المحلية والمكتسبات الوطنية ؟

3- على ماذا ترتكز الدول للحد من تأثيرات الثقافات الوافدة على منظومة القيم الوطنية ؟

و هذا يقودنا إلى اختبار مدى صدق الفرضية التالية :

كلما كان التعامل مع مخرجات الثقافة الخارجية بشكل ايجابي وبالحفاظ عن موروثات الهوية المحلية والوطنية، كلما كانت تداعيات تأثيرها على الفرد والمجتمع محدودة.

أهداف الدراسة

- التعريف بمدى أهمية المحافظة على الهوية الوطنية التي تزيد من التماسك الاجتماعي.
- الوقوف والكشف على الأهداف الضمنية لاستراتيجيات القوى الكبرى من خلال توظيف مخرجات ثقافاتها .
- تسليط الضوء على التحديات التي تطرحها الثقافات الوافدة وتداعياتها على القيم والمبادئ المحلية وضرورة مواجهتها بالتركيز على الحفاظ على موروثاتنا التاريخية والاعتزاز بها.
- الحث على الانخراط والتكيف مع منظومة العولمة بآليات تساهم في الحفاظ على القيم المحلية والهوية الوطنية.

مقاربة الدراسة

نظرا لتمحور الدراسة حول الهوية وكل ما يحيط بها من تهديدات وتحديات خاصة مع التغيرات الدولية والتحولات في الاستراتيجيات القوى الكبرى وإدراجها للبعد الثقافي والهوياتي لتحقيق مصالحها و هو ما يجعلنا نعتمد

على المقاربة البنائية لتركيزها على قضية محورية تتمثل في كيفية إدراك المجتمعات والدول لهوياتها ومصالحها وبالتالي الحفاظ على الهويات الوطنية من كل ما يشكل تهديد خارجي خاصة الثقافات والأفكار الوافدة.

وللإلمام بجميع جوانب الموضوع توجب تقسيم الدراسة إلى ثلاث مباحث

المبحث الأول تضمن الإطار العام للدراسة

أما المبحث الثاني فتناول تداعيات تأثير العامل الثقافي الخارجي على القيم المحلية الوطنية

بينما تمحور المبحث الثالث على المرتكزات الأساسية للحد من التأثير الثقافي الخارجي

المبحث الأول: الإطار العام للدراسة

تتضمن الدراسة مجموعة من المفاهيم والتعريفات والتي تعتبر مفتاحا لفهم تحليلاتها، هذا من جهة ومن جهة أخرى ولتجنب التداخل الحاصل بين المفاهيم والمصطلحات ومحاولة تضيق حدود الموضوع، من الضرورة بما كان الوقوف على أهم مفاهيم هذه الدراسة بالشرح والتفسير والتوضيح.

المطلب الأول: مفهوم الهوية الوطنية Nationalism Identity Concept

قبل التعرض لمفهوم الهوية الوطنية لابد من الإجابة عن مجموعة متشابكة ومتداخلة من الأسئلة: ما هي الهوية؟ وما المقصود بالوطنية؟ وما هي المقومات والمحددات التي يرتكز عليها هذا المركب؟

1- الهوية Identity

الهوية كمفهوم هي أحد أكثر المفاهيم جدلا وإثارة للنقاش وذلك راجع لما تمثله من خصائص فردية وديناميكيات الأسرة وعوامل تاريخية وسياقات اجتماعية وسياسية والتي تمس عمق المجتمع و جوهره، فهي حصيلة لمجموعة من أنساق العلاقات والدلالات التي تمنح للفرد إمكانية تحديد ذاته داخل الوسط السوسيوثقافي باعتباره نظاما مرجعيا على المستوى السلوكي[1]. وبتعبير آخر فهي إلى حد ما تنحصر في الإجابة على السؤال من أنا؟ أو من أنت؟ والذي قد يطرح بشكل صريح أو ضمني، على المستوى الشخصي أو الجماعي، للآخرين أو للنفس.

2- الوطنية Nationalism

ارتبط مفهوم الوطنية بظهور الدولة القومية بوصفها منظومة سياسية حديثة وبكونها مصدرا أساسيا لنشأة هذا المفهوم والذي يستخدم في كثير من الأحيان كمرادف لمفهوم القومية ويعبر عن الشعور بالارتباط والانتماء لأمة معينة دولة كانت أو مجتمع أو قبيلة.

3- الهوية الوطنية Nationalism Identity

الهوية الوطنية هي منظومة اجتماعية وأخلاقية ترتبط بتفاصيل حياة الشعب، وتقوم على استحضار جوهر وجوده واستقراء أسباب بقائه، حفاظا على هذا الوجود من تحديات التشتت والتفكك والإلغاء، من خلال تعزيزه بمقومات الانتماء والمواطنة والعمل والمبادرة المنتجة[2]، فهي العصب الحساس لأي مجتمع بحيث تشكل مركب أو وعاء يحتوي ويستوعب جميع طوائف و مكونات وشرائح المجتمع بغض النظر عن اختلافاتهم سواء الطائفية، العرقية أو الدينية ... مما يخلق الدافعية للمشاركة في حماية الوطن.

[1] طايبي رتيبة، "الصراع الثقافي وتأثيره على هوية الشباب الجامعي في المجتمع الجزائري"، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008)،ص.186

[2] بن وزة خديجة وعاتكة غرغوط، "العلاقة بين الهوية الوطنية والمواطنة"، **مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع**،ع.05، (مارس2018)، ص.80

وبتعبير آخر هي ذلك الجزء من مفهوم ذات الفرد، النابع من وعيه بكونه عضوا في جماعة بما يحيط بهذه المجموعة من اعتبارات قيمية و انفعالية[1] .

المطلب الثاني: محددات الهوية الوطنية

تقوم وتحدد هوية كل مجتمع على مجموعة من المقومات أو الأركان أو المرتكزات، وحسب **عباس الجراري** يمكننا حصر هذه المكونات التي تتشكل و تتفاعل بها الهوية الوطنية في[2]:

1- **المحدد الجغرافي:** أو ما يعرف بالأرض أو الوطن بكل تفاعلاته الطبيعية والبشرية وما ينتج عنها من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية وأنماط سلوكية.

2- **المحدد الديني:** وهو محدد أساسي للهوية الوطنية والتي لا تكون إلا بوجود دين، لأنه الضابط لكثير من التشريعات والقرارات السياسية والاجتماعية، فالمساس بالمعتقدات الدينية هو مساس بالهوية الوطنية للمجتمعات،وفي هذا السياق يدعو **وليام جيمس William James** إلى التركيز على الجانب الديني بقوله الإيمان بالله هو الذي يجعل للحياة قيمة.

3- **محدد اللغة:** تعتبر اللغة إحدى أهم الركائز التي تقوم عليها الهوية الوطنية، فهي جزء لا يتجزأ من ماهية وهوية الإنسان، وذلك لقدرتها الكبيرة على النفاد لجميع نواحي حياته الاجتماعية والحضارية والثقافية، إضافة إلى كونها وسيلة تواصل وبنية خطاب ووعاء للفكر.

4- **محدد الثقافة:** الثقافة هي سمة بارزة في بنية الهوية الوطنية لما تشكله من نسيج متباين من العادات والتقاليد والمبادئ والقيم، هذه العلاقة بين الثقافة والهوية الوطنية تتسم بالتجديد والتفاعل، والتاريخ باعتباره أحد مقومات الثقافة، فهو أحد قسمات هوية أي أمة، فالتاريخ المشترك هو عامل أساسي للمحافظة على الهوية الوطنية لأي أمة.

المطلب الثالث: جدلية العلاقة بين الهوية الوطنية والعولمة الثقافية

يذهب الكثير من الباحثين و المتخصصين إلى القول بوجود علاقة تأثير واضح للعولمة الثقافية على الهويات الوطنية للمجتمعات، وهذا ما يؤكده المفهوم الثقافي للعولمة والذي لطالما ارتبط بأفكار متباينة كفكرة الاستلاب والاغتراب والتنميط والتوحيد الثقافي للعالم وذلك انطلاقا من توظيف تقنيات تكنولوجيا الإعلام والاتصال ومخرجات الثقافة الرقمية، وهذه العملية أو المسار مرتكز أساسا على ثلاث ركائز:

- سياسة الانتشار الواسع بحيث يصبح من السهل بلوغ المعلومات على نطاق واسع، وإتاحتها لجميع فئات المجتمع المستهدف.
- سياسة تمييع الحدود و عدم الاعتراف بالحواجز بين الدول والأقاليم بحيث يصبح العالم كقرية صغيرة.
- تحقيق التجانس بين الشعوب والمجتمعات من خلال دمجهم في وعاء ثقافي عالمي.

وهو الأمر الذي يخلق تهديدا للهويات الوطنية للشعوب والمجتمعات ويطرح تحديا حول الآليات الفعالة للمحافظة على القيم المحلية من الثقافات الوافدة ومخرجات العولمة، وهو ما سنحاول التطرق له في المحاور اللاحقة من هذه الدراسة.

---

[1] Tajfel Henri, **Differentiation Between Social Groups: studies in the social psychology of intergroup relations**,(London: Academic Press,1978), p.4

[2] بن وزة خديجة وعاتكة غرغوط، المرجع السابق، ص ص. 80،81

المبحث الثاني: تداعيات تأثير العامل الثقافي على القيم المحلية الوطنية

إن التحول في استعمال القوة على مستوى العلاقات الدولية من الصلبة إلى اللينة أفرز مفاهيم جديدة في الدراسات الدولية، وهذا بفعل التقدم التكنولوجي الرهيب وتداعيات العولمة التي استخدمت الكثير من الوسائل أبرزها المنظمات الدولية والمؤسسات المالية والشركات المتعددة الجنسيات لتحقيق مطامح الدول الكبرى لتسيير بنية النظام الدولي وفق تصوراتها وقيمها، ولعل أبرز هذه المقومات التي استعانت به البعد الثقافي الذي كان له الأثر البالغ في رسم رؤية جديدة للعلاقات بين الدول .

المطلب الأول: البعد الثقافي في العلاقات الدولية الراهنة

لقد أيدت العلوم الاجتماعية الافتراض الذي يرى بأن جميع الشعوب المعاصرة تتشابه في المجالات الأساسية من تركيبها و تجهيزها النفسي، وذلك بصرف النظر عن الفروقات الفيزيولوجية و الجغرافية القائمة بينها، أما التباينات الثقافية بينها فتعود إلى أن الكائنات البشرية، فرغم التشابه الأساسي بينها إلا أنها تستجيب للمنبهات أو الظروف المختلفة بطرق متفاوتة[1]، و هو ما جعل واقع العلاقات الدولية الراهنة يطرح تحديا كبيرا للعديد من دول العالم على مستوى منظومتها القيمية والتي تعمل الدول الكبرى على تأطيره في منظومة القيم والمصالح الغربية بالحديث على انتشار الرأسمالية وقيم الديمقراطية المحققة للسلام والأمن والاستقرار في العالم[2] والطريقة المثلى في الحكم لتجسيد معالم الرشاد في التسيير والنجاح وهذا بالنظر دائما إلى أن دول العالم الثالث كمصدر للفوضى والاضطراب واللاإستقرار.

وقد منحت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الأسبقية والتفوق للدول الغربية، وتكريس للتبعية أمام عجز الدول الضعيفة عن منافستها ومجاراتها ومن ثم وجب عليها الاقتداء بها والانصياع لأوامرها وتطبيق كل مخرجات وإفرازات سياساتها الخارجية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية والثقافية .

كما أن ظاهرة العولمة أسهمت بشكل واضح وجلي في اختصار المسافات بين الدول و الشعوب مما زاد من حجم التفاعل والقدرة على التأثير[3]، و هذا باستخدام المنظمات الدولية بمختلف تخصصاتها والمؤسسات المالية والبنكية العالمية لبسط النفوذ والهيمنة و لاعتماد على الشركات المتعددة الجنسيات لفرض أجندتها الدولية وتصوراتها وأفكارها وإعادة رسم طبيعة العلاقات الدولية بما يخدم مصالحها وتحقيق أهدافها لجعل الجميع يسير وفق توجهاتها في مختلف مناحي الحياة المتعلقة بالفرد والمجتمعات.

ضف إلى ذلك فحالة الهجرات وزيادة معدل التنقلات أدى إلى تأثير العمالة الأجنبية الوافدة على الثقافة والشخصية في المجتمع ، فهذه العمالة جاءت بثقافات وعادات تتنافى مع هذه المجتمعات وسيظهر أثرها على الأجيال على المدى البعيد وتضيع هوياتهم[4] في نسيج ثقافي واجتماعي مغاير تماما لخاصتهم.

هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يؤدي ذلك إلى طرح إمكانية مطالبة هؤلاء بحقوق المواطنة من ممارسة سياسية ومشاركة في الانتخابات والترشح وهو ما يمكن من وصول صانع قرار إلى سدة الحكم لا يملك أي جذور أو انتماء لهذا المجتمع، ولعل أبرز مثال لتوضيح هذه المعضلة هي دول الخليج، فالتغير الواضح للنسيج الاجتماعي بزيادة معدلات

---

[1] لنتون رالف، **الأنتربولوجيا وأزمة العالم الحديث**، تر. عبد المالك الناشف،(بيروت: مؤسسة فرنكلين، 1967)، ص. 226

[2] عطاء محروس عبد الخبير وصالح أماني، **العلاقات الدولية البعد الحضاري والديني**، (دمشق: دار الفكر، 2008)، ص. 166

[3] عدنان السيد حسين، **العلاقات الدولية في الإسلام**، ط.2، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2010)، ص. 451

[4] تأثير العمالة الأجنبية والوافدة على الثقافة و الشخصية في المجتمع الخليجي: من خلال البعد السياسي والثقافي والاجتماعي، تاريخ النشر 2010/01/25، متاح على الرابط:

https://taf2ol.wordpress.com

العمالة الأجنبية مقارنة بالسكان المحليين أصبح يشكل تهديدا لهذه الدول والذي يبرز بشكل واضح في ممارسة الشعائر الدينية والعلاقات الأسرية والمجتمعية وأنماط السلوك والملبس والمأكل والحياة اليومية.

وهذا ما كرس للتبعية بفعل عمليات الاختراق الثقافي والاستيعاب والتذويب الثقافي وفرض التبعية على الثقافات الأخرى في إطار المكون الثقافي المعولم الممثل بالثقافة الغربية خاصة الأمريكية، فعولمة الثقافة اتجه إلى صياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها، غرضها الأساسي ضبط سلوك الدول والشعوب[1].

فواقع العلاقات الدولية أفرز معطيات ومفاهيم جديدة في كيفية الهيمنة والسيطرة باستعمال وسائل وتقنيات حديثة تمكن القوي من إحكام قبضته وفرض منطقه على الضعيف وجعله تابعا ومتلقي له على جميع الأصعدة، وعدم ترك فرصة المبادرة له وإبقائه في حالة انتظار لكل ما هو جديد ليسير في فلكه باستعمال القوة اللينة دون اللجوء إلى القوة الصلبة مجسدا لمقاربة جوزيف ناي.

المطلب الثاني : تأثير العولمة في بعدها الهوياتي على القيم المحلية الوطنية

إن العولمة هي جعل الشيء منتشرا على مساحة من الكوكب من غير عوائق أو حواجز سيادية، بهدف دمج العالم في منظومة واحدة وهي إحدى الوسائل التي تحقق السيطرة والهيمنة على هذا الأخير، فالعولمة حسب تعبير " برتر اندبادي " هي قوة قاهرة و سالبة لقانون الجماعة الدولية وإنها تتجه نحو الإعلاء من شأن التفرد لتسيير الوضع العالمي وفقا لمصالحها الإستراتجية العليا[2].

إن الانتشار الذائع لمصطلح العولمة يعكس اعترافا بوجود اختراق كثيف للعامل الخارجي بحيث تآكلت وتهاوت الحدود بينه وبين الداخلي، ولم يعد هذا الاختراق قاصرا على النطاقات السياسية التقليدية ولكن امتدت هذه النطاقات لتشمل الاجتماعي و الثقافي أيضا[3] .

إن الهدف الرئيسي للعولمة هو الغزو الثقافي وإخضاع الشعوب لمبدأ القوي بتهديم الثقافات وتشويهها وطمس معالمها ومن تم تحقيق التبعية الكاملة للثقافة الخارجية الجديدة، ولعل أبرز مثال في وقتنا الراهن هو ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية أثناء غزوها للعراق بحرق و إتلاف مخطوطات و منشورات لحضارات تعود إلى الآلاف السنين من الوجود، وكل هذا ينتج عنه :

-إضعاف الانتماء إلى الوطن مما يؤدي إلى فقدان الشخصية الوطنية والثقافة المحلية والتشويش على الثوابت الدينية والموروثات التاريخية .

-التبعية في المجال الاقتصادي والسياسي من خلال ربط هذه الدول بمعاهدات مع المؤسسات المالية والبنكية والمنظمات الدولية التي تجعلها فاقدة لإرادتها الوطنية مما يؤثر مباشرة على هويتها ومكنوناتها الثقافية[4].

وقد ينجر عن هذا العمل خلق بؤر توتر بين المجموعات المحلية في حالة الشعور بفقدان إحدى مقوماتها الثقافية من جراء الإحساس بالاغتراب الإنساني وهذا بإقناع الفرد أن سبب تخلفه هو لارتباطه بقيمه وتراثه ومرجعيته، فالعولمة لها دور بارز في تذويب الخصوصيات الثقافية داخل المجتمعات وما بين الأفراد من عقائد وتراث وفكر وقيم وعادات وتقاليد وأعراف ولغة وغيرها من الثقافات المتنوعة والمختلفة وذلك وفق نظام ثقافي بصياغة عالمية موحدة.

---

[1] الهزايمية محمد عوض، **قضايا دولية: تركة قرن مضى وحمولة قرن أتى**، (عمان: دار المكتبة الوطنية،2005)، ص.287

[2] ظاهر حسين، **معجم المصطلحات السياسية والدولية**، (بيروت:المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2011)، ص.285

[3] عطاء محروس عبد الخبير وأماني صالح، مرجع سابق، ص. 165

[4] حداد شفيعة وأسماء بلاغماس، "تأثير العولمة في بعدها الهوياتي على الهوية الثقافية الوطنية"، **المجلة الجزائرية للأمن الإنساني**، م.4،ع. 2، (جويلية 2019)، ص.244

كما أن العولمة تعمل على انتقال تركيز واهتمام الإنسان من ثقافته المحلية إلى الثقافة العالمية بمعنى يزداد الوعي بعالمية العالم ووحدة البشرية وبروز مفهومات جديدة للهوية والمواطنة العالمية والتي قد تحل محل المفهومات المحلية[1]، و هذا يؤسس لعولمة ثقافية تسعى لتهيئة الأذهان والنفوس لقبول تلك الأنواع الأخرى وتجعل الناس مستعدين للانخراط في الأنظمة والمؤسسات والاتفاقيات الدولية وهو ما يسهل لها إشاعة قيم ومبادئ ومعايير جديدة تحل محل الثقافات المحلية وتتلاشى معها مكونات الهوية الأصلية وينعكس على وجودها وتصبح عرضة للانصهار والذوبان في الثقافة الجديدة وهو ما قد يؤدي إلى انقسامات عرقية وطائفية بفعل التبعية لجهات داخلية أو خارجية.

فالتأثير الثقافي من أهم المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الضعيفة في ظل تجليات العولمة ويتجسد ذلك في اتجاه واحد لصناعة ثقافة عالمية لها قيمها وأفكارها وتصوراتها في بناء فرد عالمي في نطاق ومسار واحد وموحد.

المطلب الثالث: استراتجيات الإعلام والاتصال للهيمنة الثقافية :

على اعتبار أن التكنولوجيا عامل مقرب في عصرنا الراهن بين الثقافات فهو يخلق أنماط من السلوك والتفكير وتضيق لرقعة العالم وهذا ما جعل التكنولوجيا عامل توحيد ثقافي على مستوى العالم بأسره[2]، فمع انتشار وتوسع وتعدد وسائل الإعلام و الاتصال برزت مفاهيم جديدة للهوية والمواطنة العالمية التي قد تحل محل المفاهيم المحلية، وتجعل الأفراد والمجتمعات يسيرون في فلك هذه المتغيرات التي تمس كل مناحي الحياة من طريقة مأكل وملبس وعمل ومعاملات ... إلخ.

فالثورة المعلوماتية كان لها الأثر الواضح في تغير المجتمع بسبب سرعة تطور وتراكم المعلومات وتدفقها السريع بدون ضوابط وامتد أثرها إلى المؤسسات الاجتماعية أي المتغير الاجتماعي، وبالتأثير على الأسرة والتعليم من خلال المنظومة التربوية وكذا على السلطة السياسية للدولة.

فوسائل الاتصال اليوم تروج لأنماط جديدة من حياة الأفراد، فمثلا الأسرة المكونة من الأم والأطفال فقط أي الأطفال نتاج العلاقة غير الشرعية – ما يطلق عليها بالأم العازبة أو العزباء - وتعترف بهم دول عديدة منها فرنسا[3]ويروج لهم إعلاميا، مما قد يؤثر في المجتمعات الأخرى بالاقتداء بها ومطالبة دولهم بضرورة سن وتشريع قوانين لهم على غرار ما قامت به تلك الدول، وكذلك ظاهرة زواج المثليين الذي تروج لها وسائل الإعلام وتعترف بها بعض الدول وتجد مساندة مطلقة من الجمعيات والمنظمات الحقوقية التي تعمل للضغط على الدول لقبول هذه الأفكار من منطلق الحريات الفردية التي ينادي بها المجتمع المدني علة المستوى العالمي، و لعل أبرز مثال حركة فيمن Femen التي وصل صداها إلى الكثير من الدول العربية والإسلامية والتي لاقت رواجا وانجر في فلكها الكثير وأصبحت هذه الحركة محل تقليد أعمى.

كما أن تدفق المعلومات لعب دوراً أساسياً في إعادة أو إحياء الثقافات المحلية (ثقافات الأقليات) وهذا خلق نوع من الإحساس بالتهميش والإقصاء لبعض الفئات داخل المجتمع الواحد مما جعلهم يبحثون على إعادة بعث ثقافاتهم من جديد حتى لو تطلب الأمر استعمال القوة في سبيل ذلك.

كما أن هذه القنوات الإعلامية ساهمت بشكل كبير في اتساع ظاهرة الهجرة التي تسوق للرفاهية التي تعيشها شعوبهم وهذا ما أدى إلى هروب النخب والطاقات البشرية وأصبحت علاقاتهم بأوطانهم مجردة من قيم المواطنة والشعور و الإحساس بالانتماء إلى هذه الثقافات المحلية التي لا تلبي حاجياتهم وطموحاتهم، وفي ظل هذا الوضع المهم

---

[1] سكور إيمان وليليا شاوي، "دور تكنولوجيا الإعلام و الاتصال و شبكة المعلومات العالمية في تشكيل و أعادة تشكيل الهوية – قراءة تحليلية لواقع الهوية الثقافية في شمال إفريقيا"، **المجلة الجزائرية للاتصال**، م.18،ع.2،(2019)، ص.92

[2] المرجع السابق، ص.87

[3] ناهدة عبد الكريم حافظ، الثورة المعلوماتية ...وأثرها في تغيير المجتمع، تاريخ النشر2008/02/09، متاح على الرابط: https://3dpolice.blogspot.com/2008/02/blog-post_2818.html?m=1

وغير الواضح أصبح التطلع إلى مستقبل يحققون فيه أمانيهم وأمالهم في أوطان أخرى غير وطنهم الأم، وهنا يبدأ التفاعل مع مفاهيم جديدة كالمواطن العالمي والمواطنة العالمية في إطار الثقافة العالمية.

فاليوم وسائل الاتصال الحديثة أصبحت أحد أبرز وأقوى أنواع العولمة الثقافية التي شهدت إحلال الثقافات الخارجية بقيمها ومعاييرها مكان الثقافات المحلية والتي قد لا تتوافق مع أنماطها الاجتماعية، ومن بين أهم هذه الوسائل التلفزيون، السينما، الهواتف الذكية، و شبكات التواصل الاجتماعي، فهذه الأخيرة لها جوانب سلبية فمستخدموها يصابون بنوع من الانطوائية والعزلة الاجتماعية من خلال التركيز على التفاعل الافتراضي وتجاهل العالم الحقيقي، وهو ما يؤثر بشكل كبير على الإنتاجية والمردودية في الوسط العمالي بسبب إدمان هؤلاء الموظفين على الاستعمال المفرط لهذه المواقع مما يجعلهم مقصرون في أداء واجباتهم المهنية[1].

فالدول المهيمنة توظف هذه الإستراتجية لبث ثقافتها وتقاليدها في المجتمعات الأخرى، وهذا يعني أن الرسالة الإعلامية تعمل على تعميم ثقافة تلك الدولة وقيمها بشكل يجعل الطرف الأقوى يبسط نفوذه وسيطرته على الطرف الأضعف[2]، و يتجسد هذا من خلال الأفلام والمسلسلات التي تبرز أن القوة لدولة أمريكا فقط من خلال سلسلة أفلام رامبوRambo التي انبهر بها شباب المجتمعات الأخرى وشكلت لهم عقدة القدرة على التفوق والمواجهة،وفي نفس المنحى نجد المسلسلات المكسيكية والتركية التي تروج للتفكك الأسري والانحلال الخلقي والقضاء على القيم المجتمعية، وكل هذا يساهم في إحداث تغير اجتماعي يمس مباشرة بسلوكيات الأفراد ونمط معيشتهم داخل المجتمع، فالقوي في عالم اليوم والوقت الراهن يستغل وسائل الإعلام والاتصال لغزو العقول والأذهان بأفكار ومعتقدات جديدة ودخيلة عن البيئة الأصلية كبديل للغزو المسلح لأنها أكثر نجاعة وأقل تكلفة و في فترة وجيزة يحقق مصالحه وأهدافه.

المبحث الثالث : المرتكزات الأساسية للحد من التأثير الثقافي الخارجي

ليس من الحكمة أن نتعامل مع العولمة بمنطق القبول أو الرفض، و لا من المعقول النفور و عدم الاستفادة من التطور التكنولوجي والتقدم في وسائل الاتصال و طرق نقل المعلومة، لكن المطلوب هو إيجاد صيغة للتعامل معها في إطار ما يسمح للأمم والمجتمعات المستقبلة لهذه التقنيات و الوسائل من الحفاظ على هويتها وعصرنة تصوراتها وأفكارها بما يتماشى ويتجاوب مع ثقافاتها المحلية والوطنية، حتى لا تتهم بالرجعية والتخلف وتصبح عرضة للاستفزاز والاستهداف من طرف القوى العالمية،وهناك طرق ووسائل عدة يمكن أن ترتكز عليها للحد من التأثير الخارجي أو التجاوب معه بما يخدم مصالحها و أهدافها.

المطلب الأول: مرتكز السلطة السياسية

ففي المجال السياسي ضرورة إعادة تفعيل دور الدولة و خاصة في الدول العربية والإسلامية باعتبارها المستهدف الأول بالاختراق الثقافي، لأن احتمال انحسار الدولة يعني ببساطة تعرض المجتمعات المحلية لتغيرات قاسية من قبل القوى المهيمنة[3]، وهذا ما يستوجب العمل على إصلاح الأوضاع الداخلية بتحول ديمقراطي سلس يحقق العدالة الاجتماعية و يمكن من التوزيع العادل للثروة، و تقلد المسؤوليات مسموح للجميع للقضاء على النعرات الطائفية و

---

[2] صفاء شريم ، سلبيات وسائل التواصل الاجتماعي ، تاريخ أخر تحديث 07 / 04 / 2019، متاح على الرابط:
https://r.search.yahoo.com/_ylt=AwrP4k_wIIheoAYAc1Yk24lQ;_ylu=X3oDMTByaW11dnNvBGNvbG8DaXIyBHBvcwMxBHZ0aWQDBHNlYwNzcg/RV=2/RE=1586008432/RO=10/RU=https%3a%2f%2fmawdoo3.com

[2] سعد الله أبو القاسم وسعاد عبيدي، "وسائل الإعلام و استراتجيات الإقناع و الهيمنة الثقافية"، **مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات** ، م.1،ع.3، (2014)، ص.239.

[3] Castles Stephen, "Globalization and Migration : Some Pressing Contradictions", **International Social Science Journal, N.156, (Jun 1998), p.185**

العرقية، والرشاد في صناعة السياسات والقرارات وتطوير سياسات التكامل الإقليمي لمواجهة التحديات التي تطرحها العولمة، وهذا لمحدودية قدراتها في التعامل معها بشكل فردي[1]

وإن كان من الضرورة بما كان إعطاء أهمية بالغة لتفعيل دور الدول كآلية رئيسية لحماية القيم المحلية والهوية الوطنية لشعوبها، إلا أن ذلك لا يقلل من أهمية مستويات ما تحت الدولة من أحزاب سياسية و مجتمع مدني ودورها في تعزيز الانتماء وغرس روح المواطنة، خاصة لما تلعبه هذه الأخيرة من دور الوساطة الاجتماعية في توعية الشباب وتذكيره بأصوله الحضارية ودفعه للتمسك بها وتطويرها لمواجهة كل ما هو غريب ودخيل على بنائه الاجتماعي، الثقافي و الحضاري .

المطلب الثاني: مرتكز البناء الاجتماعي

في المجال الاجتماعي ضرورة الاهتمام بالفرد و تنشئته اجتماعيا و ثقافيا و سياسيا حتى يكون فعالا وغير اتكالي من خلال منظومة تكاملية ما بين الأسرة ومؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني الذي يحتاج إلى نمط خاص، والاستفادة من الموروث الثقافي والروحي والحضاري وتحقيق التناغم والانسجام بين هذه الموروثات وبين الواقع الدولي الجديد الذي يجب التفاعل معه في إطار ما يخدم المصالح والأهداف ويحافظ على الثقافة المحلية والوطنية .

فالاهتمام بالإنسان هو المرتكز الأساسي للحفاظ على الثقافة المحلية وقدراتها على مواجهة الثقافات الخارجية لأنه هو المدافع الأول عن خصوصياته ومقاومة الغزو الثقافي الذي تمارسه القوى المالكة للتكنولوجيا من خلال تحديثه بالعودة إلى نموذج ما بعد الحداثة بتبني نموذج التنمية المستقلة[2].

ومن المؤكد أن إعطاء الأولوية للعناية بالتنشئة الاجتماعية للأفراد المرتبطة بالماضي المفعم بالعادات والتقاليد والأعراف المكتسبة والموروثة عن التاريخ هي أبرز المرتكزات التي تساهم في الحفاظ على الثقافة المحلية والوطنية والتي تبحث عن قواعد وأسس للتجاوب والتفاعل مع المتغيرات والتحولات التي تحدث بين الحين والآخر بشرط عدم الانسلاخ والذوبان في مخرجات الثقافة الخارجية.

ويعتبر عامل تفعيل عناصر الهوية الوطنية في المجتمع عاملا رئيسيا وآلية ضرورية لمواجهة ما تطرحه العولمة الثقافية من تهديدات، وإخراج المجتمع من حالة الصراع القيمي الثقافي، وذلك يتم عبر استحداث استراتيجيات وسياسات ترتكز على توظيف القوة المرنة، فمثلا تفعيل محدد أو عنصر اللغة العربية يكون من خلال تثمين دور المراكز الثقافية و العمل على نشرها على المستويين المحلي والدولي و التحفيز على الانخراط فيها على غرار ما نراه في المراكز الثقافية الأنجلوسكسونية والفرانكفونية.

المطلب الثالث: مرتكز تفعيل البحث العلمي

يعتبر مجال البحث العلمي و تحديث المنظومة التعليمية من الركائز و الآليات المهمة التي يجب تفعيلها والاهتمام بها لمواجهة ما تطرحه مخرجات العولمة خاصة الثقافة الرقمية وانعكاساتها على القيم المحلية وخلقها لأزمة هوية في المجتمعات، وهو ما يحتم ضرورة الانخراط في مجال البحث العلمي لإدراك وفهم التناقضات التي تلف فكرة العولمة التي تعتبر بمثابة تحد كبير يحتاج من المثقفين والمفكرين إلى التصدي لها من منظور يحافظ على الهوية المحلية والوطنية، فهذه الأخيرة تمثل قضية شائكة تتطلب التعامل معها بازدواجية بالتفهم الايجابي لبعض مكوناتها كالاستفادة من التقنية التي لا تتعارض مع المصالح[3]، ومن جهة أخرى التصدي لما تكرسه من استلاب للأفكار والقيم وهو جوهر عملية الاختراق الثقافي، بجعلنا في حالة من تغيب العقل وإفراغنا من محتوانا وبالتالي تجسيد لاستمرارية التبعية ولكن من منطلق أعمق وأخطر وهو ما أطلق عليه يوهان غالتونغ Johan Galtung بحالة السلام السلبي.

---

[1] جمال نصار، الهوية الثقافية و تحديات العولمة،مركز الجزيرة للدراسات، تاريخ النشر2015/01/28، متاح على الرابط: https://www.studies.aljazeera.net/ar/issues/2015/01/201512895243715948.html

[2] الموسوي ضياء مجيد، **الحداثة و الهيمنة الاقتصادية و معوقات التنمية**، ط2، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009)، ص. 149

[3] الهزايمية محمد عوض ، مرجع سابق، ص. 296

الخاتمة :

إن التحول في استعمال القوة من الصلبة إلى اللينة في حقل العلاقات الدولية في ظل بروز ظاهرة العولمة والتقدم التكنولوجي في نقل المعلومات وقوة تأثيرها باستخدام تقنيات ووسائل مستحدثة لجعل الكل يسير في مسار واحد ووحيد، بالارتكاز على العنصر الثقافي الذي يلعب دورا محوريا في تحقيق وتجسيد أهداف القوى العالمية التي تسعى لجعل الأفراد والمجتمعات تدور داخل فلكها بطمس الثقافات المحلية و الوطنية و إحلال محلها مخرجات ثقافتها.

وعليه وجب على الأفراد والمجتمعات التعامل مع هذه المخرجات بشكل ايجابي والتفاعل معها بازدواجية وذلك من خلال الاستفادة من ايجابياتها وتوظيفها فيما يخدم مصالحهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى الحد من تأثيرها الكلي من خلال الحفاظ على موروثات الهوية المحلية والوطنية وهو ما يؤكد صحة الفرضية المطروحة " كلما كان التعامل مع مخرجات الثقافة الخارجية بشكل إيجابي و بالحفاظ على موروثات الهوية المحلية والوطنية، كلما كانت تداعيات تأثيرها على الفرد والمجتمع محدودة".

وبناءا على ما سبق سنحاول رصد أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة:

- الهوية الوطنية هي جوهر الوجود الإنساني وتغييبها هو تكريس للتبعية والاستعمار من منطلق مغاير، وهو ما أدركته القوى الأجنبية ، و تجسد من خلال سعيها لاستهداف مقومات الهوية الوطنية للمجتمعات لإبقائها خاضعة لسيطرتها.

- العولمة الثقافية في جوهرها مبينة على فكرة تحقيق الاختراق الثقافي للمجتمعات المستهدفة وجعلها في حالة من الاستلاب والاغتراب الثقافي، بحيث تكون في درجة متقدمة من الذوبان والانصهار مما يجعل الفرد غير قادر على الإدراك والتمييز بين الأنا والآخر.

- ضرورة التعامل مع مخرجات العولمة الثقافية والثقافة الرقمية بازدواجية بالاستفادة من كل ما هو إيجابي فيها ورفض ما يتعارض مع القيم المحلية والهوية الوطنية.

- الحفاظ على البعد الهوياتي لمجتمع ما من تأثيرات الثقافات الوافدة يرتكز أساسا على التفاعل الإيجابي بين الفرد والمجتمع والدولة.

التوصيات

- ضرورة تفعيل آليات واستراتيجيات لفرض الرقابة على مخرجات الثقافة الوافدة وفي مقدمتها الثقافة الرقمية.

- الاستفادة من الثورة في وسائل الإعلام والاتصال وتكنولوجيا المعلومات لتحديث منظومة تعليمية تكون قادرة إنتاج نشء يكون أكثر وعي وتمسك بقيمه وهويته الوطنية.

- العمل على خلق توازن ثقافي في مجتمعاتنا بحيث نمنح مساحة لحوار الحضارات وتفاعل الثقافات واحترام الآخر لكن مع المحافظة على الهوية الوطنية من الانصهار والذوبان في الثقافات الوافدة وذلك بتبني سياسة الانفتاح المشروط.

- العمل على بناء منظومة إعلامية على قدر من النضج والوعي، خاصة لما تملكه هذه الأخيرة من قدرة على التأثير في الشعوب ونشر الوعي.

- إعادة بلورة واستحداث في دور المجتمع المدني المغيب، والوقوف على أهمية الدور الذي يمكن أن تؤذيه الجمعيات ومؤسسات التنشئة في غرس روح المواطنة والتمسك بالخصوصيات الهوياتية، وذلك من خلال تنمية ثقافة الوعي لدى النشء بالتحديات التي تطرحها مخرجات الثقافة الغربية وما ستؤول له حالنا في حال الانسلاخ عن هويتنا وقيمنا.

- الاعتماد على القوة الناعمة في الجانب الثقافي للتعريف بموروثنا الحضاري ونشر ثقافتنا.

قائمة المراجع :

أولا: مراجع باللغة العربية

I -الكتب :

1- حسين، ظاهر. **معجم المصطلحات السياسية و الدولية**، بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع،2011.

2- حسين، عدنان السيد. **العلاقات الدولية في الإسلام** ، ط 2 ، بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 2010.

3- ضياء، مجيد الموسوي.**الحداثة و الهيمنة الاقتصادية و معوقات التنمية**، ط.2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.

4- عبد الخبير،عطاء محروس وأماني صالح، **العلاقات الدولية البعد الحضاري والديني**، دمشق:دار الفكر ،2008.

5- لنتون، رالف. **الأنتربولوجيا و أزمة العالم الحديث** ، ترجمة عبد المالك الناشف، بيروت:مؤسسة فرنكلين، 1967.

6- محمد، عوض الهزايمية. **قضايا دولية: تركة قرن مضى وحمولة قرن أتى**، عمان: دار المكتبة الوطنية، 2005.

II -المجلات:

1- أبو القاسم، سعد الله وسعاد عبيدي، "وسائل الإعلام و استراتجيات الإقناع و الهيمنة الثقافية"، **مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات** ، م.1،ع.3، (2014)

2- إيمان، سكور وليليا شاوي، "دور تكنولوجيا الإعلام و الاتصال و شبكة المعلومات العالمية في تشكيل و أعادة تشكيل الهوية – قراءة تحليلية لواقع الهوية الثقافية في شمال إفريقيا"، **المجلة الجزائرية للاتصال**، م.18،ع.2،(2019).

3- شفيعة، حداد وأسماء بلاغماس، "تأثير العولمة في بعدها الهوياتي على الهوية الثقافية الوطنية"، **المجلة الجزائرية للأمن الإنساني**، م.4،ع. 2، (جويلية 2019).

III-الرسائل والأطروحات

1- رتيبة. طايبي، "الصراع الثقافي وتأثيره على هوية الشباب الجامعي في المجتمع الجزائري"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008.

VI-المواقع الالكترونية

1- تأثير العمالة الأجنبية والوافدة على الثقافة والشخصية في المجتمع الخليجي: من خلال البعد السياسي والثقافي والاجتماعي، تاريخ النشر 2010/01/25، متاح على الرابط:

https://taf2ol.wordpress.com

2- ناهدة عبد الكريم حافظ، الثورة المعلوماتية ...وأثرها في تغيير المجتمع،تاريخ النشر 2008/02/09، متاح على الرابط:

https://3dpolice.blogspot.com/2008/02/blog-post_2818.html?m=1

3- صفاء شريم، سلبيات وسائل التواصل الاجتماعي، تاريخ أخر تحديث 07 / 04 / 2019، متاح على الرابط :

https://r.search.yahoo.com/_ylt=AwrP4k_wIIheoAYAc1Yk24lQ;_ylu=X3oDMTByaW11dnNvBGNvbG8DaXIyBHBvcwMxBHZ0aWQDBHNlYwNzcg/RV=2/RE=1586008432/RO=10/RU=https%3a%2f%2fmawdoo3.com

4- جمال نصار، الهوية الثقافية و تحديات العولمة،مركز الجزيرة للدراسات،تاريخ النشر 2015/01/28، متاح على الرابط:

https://www.studies.aljazeera.net/ar/issues/2015/01/201512895243715948.html

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

I-Book

Differentiation between Social Groups: studies in the social psychology of intergroup . Henri, Tajfel **relations**, London: Academic Press, 1978.

II-Newspapers and Magazines

Stephen, Castles. "Globalization and Migration: Some Pressing Contradictions", **International Social Science Journal, N.156, (Jun 1998).**

.